بنيوية التراث و المقاومة في شعر محمود درويش و نصرالله مرداني

طالبة الدكتوراه شهرزاد مسلمي
shahrzad.moslemi.2019@gmail.com
الأستاذ المشارك الدكتور محمد جنتي فر (الأستاذ المشرف)
Mjanatifar@yahoo.com
الأستاذ المساعد الدكتور سيد على اكبر غضنفري
جمهورية إيران الإسلامية
جامعة آزاد الإسلامية ـ قم ـ قسم اللغة العربية وآدابها

The structure of heritage and resistance in the poetry of Mahmoud Darwish and Nasrollah Mardani

Shahrzad. moslemi
PHD student , Department of Arabic Literature , Ghom Branch , Islamic Azad University , Ghom , Iran
Mohammad. janatifar
Supervisor , Department of Arabic Literature , Ghom Branch , Islamic Azad University, Ghom , Iran
Sayed ali akbar.ghazanfari
Consultant professor , Department of Arabic Literature , Ghom Branch , Islamic Azad University, Ghom , Iran

الملخص:

لا شك أن للموروث أهميته في الأدب العربي والفارسي الحديث والمعاصر؛ إذ يعدّ التراث منبعاً من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الرجوع إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي، وفق رؤية إنسانية معاصرة. وهذا يعني أن الماضي يعيش في الحاضر، ويربط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير و التأثر. إن توظيف التراث في العمل الشعري يضفي عليه عراقة وأصالة، ويمثّل نوعاً من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء. كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول و الكلية ؛ إذ يجعلها تتخطي حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر. الشاعران نصرالله مرداني ومحمود درويش من الشعراء الذين تميزوا في توظيف التراث توظيفاً حياً إبداعياً وذلك على وعيه الذاتي والحضاري وإنّ اللجوء للشخصيات التراثية عند مرداني ودرويش يدلّ على مدي اتساع الحدقة الشعرية، والرؤية الإبداعية، وعدم الإنغلاق على الذات الفردية، واستنكاه الأبعاد الإنسانية الشاملة، وتوظيفها لإضفاء صورة حية على الواقع. والمنهج الذي إعتمدناه في هذه المقالة هو المنهج الوصفيّ التحليليّ.

الكلمات الرئيسية: الشعر المعاصر - محمود درويش - نصرالله مرداني - الشخصيات التراثية - إستدعاء.

Abstract:-

There is no doubt that heritage has importance in contemporary Arabic and Persian literature. Heritage is a source of poetic inspiration, which reflects the poet through reference to the spirit of the times and reconstructs the past in accordance with contemporary human vision. This means that the past lives in Present, and connect with a controversial relationship based on influence and impact The employment of the heritage in the work of poetry gives it a heritage and originality, and represents a kind of extension of the past in the present, and the penetration of the present roots in the fertile soil of the past. It also gives the vision of poetry a kind of inclusiveness and totalitarianism, making it exceed the limits of time and place, and embraces in its past frame with the present. The poets Nasrollah Mardani and Mahmoud Darwish are poets who are distinguished in the employment of heritage and are creative and self-aware. The use of the traditional personalities of Mardani and Darwish indicates the extent of the hair's radiance, the creative vision and the lack of self-indulgence, and adopted the comprehensive human dimensions, and employ them to give a real picture of reality. The approach we have adopted in this article is the analytical descriptive approach.

Key Words: Contemporary Poetry, Mahmoud Darwish, Nasrollah Mardani, Traditional Figures, Recitation.

١ـ المقدّمة

إن الصورة الشعرية واحدة من الأدوات التي يستخدمها الشاعر الحديث في بناء قصيدته و تجسيد الأبعاد المختلفة لرؤيته الشعرية. فبواسطة الصورة يشكل الشاعر أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل محسوس، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود والعلاقات الخفية بين عناصره. وإذا كان الشاعر الحديث - بشكل عام يستخدم إلى جانب الصورة الشعرية أدوات وتكنيكات شعرية أخرى، فإن هناك من الإتجاهات الشعرية الحديثة ما يعتمد اعتماداً أساسياً على الصورة الشعرية (عشري زايد،١٩٧٧، ص٦٨). ويمكن تقسيم الصورة عند محمود درويش و نصرالله مرداني بحسب مصدرهما إلى تراثية و واقعية مأخوذة من الحياة المعيشة. تبني المجتمعات على العلاقات الإنسانية بين أفرادها، و ينتج من خلالها مجموعة من العادات، و التقاليد، و القيم و الموروثات التي تتعاقب على مرّ السنين، و تتحدد معالم المجتمع و تتسم بها أفراده، و يتمسك بها، و تتشكل ثقافته التي تحدد معالمه، وهويته داخل مجتمعه و يصبح متميزاً و يخرج من نطاق الذاتية في بيئته إلى نطاق العالمية بين المجتمعات. وتتنوع هذه الثقافة في طبيعتها و مجالاتها و تصبح مأثورات تتنقل من جيل لأخر على مرّ العصور، فمنها المأثورات الأسطورية، الدينية، الأدبية، التاريخية والشعبية. إنّ الشاعر الحديث يعود إلى تراثه، بهذه الكيفية الإبداعية، لأنّه يشعر أنّه حين يتوسل إلى الوصول إلى وجدان أمته، عن طريق توظيفه لبعض مقومات تراثها، يكون قد توسل إليه بأقوي الوسائل تأثيراً عليه، و هو إذ يفعل ذلك يدرك أيضاً، أنّه يكفي استدعاء هذا المعطي أو ذاك من معطيات التراث لإثارة كلّ الإيحاءات و الدلالات التي ارتبطت به وجدان السامع تلقائياً(كندي، ٢٠٠٣،ص١٤٦).إنّ نصرالله مرداني و محمود درويش وظّفا التراث الإنساني والقومي في الخطاب الشعري متبعاً أساليب عدّة في التعامل مع النصوص السابقة (الغائبة) منها: إستعارتهما للنصّ السابق على مستوي الجملة و العبارة دون إجراء أي تبديل عليها، و استعارتهما للجمل و العمل على تحويرها و قلب معانيها قلباً يبدلانها في صورة نقيضة لها. وذلك بالإتكاء على مصادر عدة منها ما يطلق عليه المصادر الضرورية.

كلا الشاعرين يستعينان بهذه الرموز التاريخية و الأسطورية في قصيدة واحدة ليتجسّدان صورة الإيران وفلسطين الذينِ ينغمسان في ورطة الدمار والإستعمار ويحثّ

الشعب الفلسطيني لينهضوا من مكانهم و يقطعوا أرجل المستعمرين من وطنهم، و هذا الإستدعاء التراث يلعب دوراً هاماً في الشعر الحديث كأنّ الماضي يعيش في الحاضر والشاعر ينشأ علاقة وثيقة مع الماضي و يستخدم من التراث بشكل مباشر أو غير مباشر. وبما أنّهما يعدّان نصرالله مرداني و محمود درويش من كبار الشعراء المعاصرين الإيراني والفلسطيني رجحنا أن نأتي بتراثهما الأسطوري و الأدبي و التاريخي و الديني والفولكوري والصوفي الذي استخدمهم درويش و مرداني في أشعارهما و الكشف عن دلالات هذا التراث والرموز.

٢-أسئلة البحث:

١- هل استطاعت هذه المعطيات التراثية أن تكون من الوسائل الأدق تمثيلاً لهموم؟

٢- ما المصادر التي برزت في هذا التراث؟

٣-و ما أهمّ الشخصيات التي استمداها محمود درويش و نصرالله مرداني من كل مصدر؟

٣-الدراسات السابقة

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه لم يوجد حتى الآن - في ما أعلم - دراسة تناولت موضوع استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر محمود درويش و نصرالله مرداني، الأمر الذي تتجلّي معه جدّة الموضوع. و هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر، منها فيما يلي: انتشرت دراسة مقارنة حول ((ملامح التجسيد الفني لظاهرة الحرية في شعر محمود درويش)) الكاتب: درويش، أحمد؛ مجلة فصول ربيع ١٩٩٢ - العدد ٤١، صص ٧٤ إلى ٨٩.و كذلك طبعت مقالة معنون بـِ ((الواقعية الملحمية صورة فلسطين في ٣٨ سنة من شاعرية محمود درويش)) الكاتب: فرزاد، عبدالحسين؛ في مجلة آفاق الحضارة الاسلامية، شعبان ١٤٢٣ - العدد ١٠ صص ٢٨١ إلى ٢٩٤. مقالة أخرى بموضوع ((بررسي مقاومت فلسطين در شعر محمود درويش و حسين اسرافيلي))، من الكاتب: حاج بابايي، محمدرضا؛ مرادي، سجاد؛ في مجلة الأدب المقاومة، خريف و شتاء ١٣٩٦، العدد ١٧، صص ١٠٧ إلى ١٣٢.طُبِعَت مقالة أخرى

((بررسي تطبيقي وطن‌دوستي ((محمود درويش)) و ((ملك الشعراي بهار)) جلالي، ليلا؛ كرد، صفي الله؛ في مجلة البحوث في الأدب المقارن، الصيف ١٣٩٥، العدد ٣٨، شماره ٣٨، صص ١١١-١٣٤.توجد مقالة ((بررسي موسيقي و صور خيال در شعر جنگ نصرالله مرداني))،من الكاتب: صدقي، حسين؛ عظيم زاده، امير علي؛ في مجلة الأدب المقاومة، خريف و شتاء ١٣٩٢، العدد ٩، صص ١٨٧ إلى ٢١٢. و أيضاً انتشرت مقالة ((بازتاب مفاهيم ديني و عاشورايي در شعر پايداري احمد دحبور و نصرالله مرداني))، ملازاده، ريحانه؛ فريد، زهرا؛ مجلة البحوث في الأدب المقارن في سنة ١٣٩٦، العدد ٢٧، صص ١٤٣ إلى ١٦٤. مع هذا لم يبحث عن إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر محمود درويش و نصرالله مرداني و نحن قمنا بإيراد هذا البحث و تحليل حوله، و اعتمدنا في دراستنا هذه منهجاً وصفياً، قائماً على التحليل و الإستنتاج في تناول الطرق الفنية التي سلكها الشاعران محمود درويش و نصرالله مرداني في توظيف الشخصية التراثية.

٤- مفهوم اللغوي و المصطلح للتراث

الأصل في كلمة التراث (heritage) ورث، و تدل مادة ورث في معاجم اللغة العربية على المال الذي يورثه الأب لأبنائه(وتار،٢٠٠٢،ص١٩) جاء في لسان العرب: الإرث: الأصل، الإرث الذي في الحسب و الورث في المال، الميراث.(إبن منظور،١٩٩٩، مادة ورث). وإستخدام القرآن الكريم كلمة ((التراث)) بنفس المعني الذي ورد في المعاجم اللغة، أي المال: ﴿وتأكلونَ التُّراثَ أكلاً لمّاً﴾ (الفجر:١٩).إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي ف فإنهم يختلفون بعد ذلك في تحديد هذا الماضي، فيري بعضهم أن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد(وتار،٢٠٠٢،ص١٩). الحديث عن التراث حديث في الهوية، فالتراث تراث أي أمة في عرف الباحثين و المختصين هو حديث في ماضي الأمة بمختلف مكنونات هذا الماضي، و مكنونات ماضي أي أمة هي امتداد جذورها، و هي عناصر الهوية و خصائص شخصية الأمة.

٥- توظيف التراث والشخصيات التراثية في الشعر المعاصر.

وإن توظيف الشخصية التراثية في الشعر المعاصر يعني استخدامها تعبيرياً لحمل بعد من ابعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي إنها تصبح وسيلة تعبير و إيحاء في يد الشاعر يعبر من

خلالها - أو يعبر بها - عن رؤياه المعاصرة(عشري زايد، ١٩٧٨،ص١٥).الشاعر يستخدم الشخصيات التراثية كمعادل موضوعي للتجربة الذاتية حيث كان يتخذها قناعاً يبث من خلاله و أفكاره، و القناع - كما يقول البياتي هو الإسم الذي يتحدّث من خلاله الشاعر نفسه متجردا من ذاتيته؛ أي إن الشاعر يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته، و بذلك يبتعد عن حدود الغنائية و الرومانسية التي تردّي أكثر الشعر العربي فيها(عشري زايد،١٩٧٨،ص٢٤).عبدالوهاب البياتي و هو أحد أعلام توظيف التراث يقول: إنني عندما أختار هذه الشخصية التاريخية أو تلك لأتوحد معها، إنّما أحاول أن أعبّر عما عبرت عنه هي، وأن أمنحها قدرة على تخطي الزمن التاريخي، بإعطائها نوعاً من المعاصرة(كندي،٢٠٠٣،ص١٤٧). إنّ لتوظيف التراث لدي نصرالله مرداني و محمود درويش أهمية خاصة في الكشف عن البنية الفنية لقصائدهما من خلال متابعة هذه الظاهرة وكشف العلاقات التي تربط النصّ الشعري الحاضر بالنصوص الماضية. وسوف نتناول أنماطاً من الشخصيات التراثية بالنظر إلى تقسماتها العامة.

٦-الصور التراثية في الشعر محمود درويش و نصرالله مرداني

إنّ التراث ينبوع دائم التفجر؛ بما يمثله من أصل للقيم، وكثيرا ما ارتد شاعرنا المعاصر إلى تراثه فما خذله هذا التراث مرة ؛ ارتد إليه مهموماً ومسروراً، مهزوماً و منصوراً خراً ومقهوراً؛ فوجد فيه ما يهدهد همومه وما يجسد سروره، و ما يواسي في هزيمته وما يتغنى بنصره و ما يمجد حريته و ما يتمرد على قهره(عشري زايد،١٩٧٨، ص٧). وقد أدركا درويش و مرداني - كغيره من الشعراء المعاصرين - مدي غني التراث و ثرائه بالإمكانات الفنية و بالمعطيات و النماذج التي تسطيع أنتمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها فيما لو وصلت أسبابها بها لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصّاً من القداسة في النفوس الأمة و نوعا من اللصوق بوجداناتها؛ لما للتراث من حضور حي و دائم في وجدان الأمة. فليس غريبا إذن أن نجد الشاعر يفسح المجال في قصيدته للأصوات التي تتحاوب معه و التي مرت ذات يوم بنفس التجربة و عانتها كما عاناها الشاعر نفسه(عزالدين إسماعيل،١٩٦٧،ص ٣٠٧). وقد إتجه الشاعر إلى الأساطير - و مصادر التراث الأخرى - في هدوء أحيانا، و في صخب و قعقعة أحيانا أخرى. حيث وجد رهن تصرفه تراثا شديد

الغني متنوع المصادر، و يمنحها شمولا و كلية و أصالة، و في نفس الوقت يوفر لها أغني الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية و أكثرها قدرة على تجسيد هذه التجربة و ترجمتها و نقلها إلى المتلقي. هذا ما تحاول الصفحات التالية الإجلبة عليه من خلال الصور التراثية المصدر في شعر، و التي انقسمت بدورها إلى صور أسطورية المصدر، و أخرى من التراث الأدبي، و ثالثة من التراث الصوفي، و رابعة من الموروث التاريخي، ثمّ يأتي الموروث الشعبي، و أخيراً الصور المعتمدة على الموروث الديني.

الف) الموروث الأسطوري:

إن ما يربط الشاعر المعاصر بالأساطير والتراث الشعبي القديم عموماً، هو تلك السمات الفنية التي تتمتع بها هذه الأساطير ومنها القدرة على التشخيص والتمثيل، ومنح الحياة للأشياء الجامدة، واستخدامها الظلال السحرية للكلمات والصور البيانية القادرة على الإحاطة والكشف، أضف إلى ذلك، هذه الطاقة الخيالية الجامحة القادرة على ارتياد عالم الطبيعة والإنسان(بلحاج،٢٠٠٤،ص٣٨).يري دكتور خليل حاوي أن الأساطير التي يستخدمها الشعر الحديث بأعتبارها معطي من معطيات التراث - تمّكن الشاعر من دمج الذاتي بالموضوعي، و من ثم التعبير عن التجارب الكلية الشاملة(عشري زايد،١٩٧٨،ص٢٦). إنّ المساحة التي شغلتها الأسطورة الأنثربولوجية في تراث محمود درويش واسعة بالمقايسة مع شعراء جيله أمثال عبدالصبور و حجازي و غيرهم؛ و قد بدأ درويش الإتكاء على التراث الأسطوري منذ أول دواوينه.حين كان في مرحلة الرومانسية من تجربته الشعرية، و ذلك من خلال قصيدته:

((و لم نزل نحيا كأنَّ الموتَ يخطئُنا

فنحنُ القادرين على التذكر قادرونَ

على التَحرُّر، سائرونَ على خُطَي

جلجامش الخضراءَ من زمنٍ إلى زمنٍ)) (درويش،٢٠٠١: ٨٠)

لقد شكلت ملحمة جلجامش جزءاً واضحاً من نصّ درويش، استحضر فيه مأساته و واجه الموت، و كأنّنا أمام معاناة جلجامش و درويش يعانيان محنة الوجود و كلاهما أطل

على الموت فأفزعه إيقاعه، فتاق إلى الخلود و راح يبحث عنه، و يتذكر مأساة جلجامش بعد موت صديقه أنكيدو، تلك الأسطورة تطرح سؤالاً إشكالياً و أزلياً عن سرّ الحياة و لغز الموت كما عبرت عنه في شخص جلجامش، و استطاع درويش تطويع الأسطورة بقدرة و إجادة خلق معها تناسقاً مع قصيدته.

أنكيدو شخصية من الأساطير السومرية، سمي أيضًا بإنكيمدو وإيابـاني وإنكيتا في عصور مختلفة، وهو شخصية أساسية في ملحمة جلجامش، حيث صارع الملك جلجامش قبل أن يصبح صديقه الأقرب، وتقوم الملحمة على ذكر مغامراتهما سوية. و كان محمود درويش استخدم هذا الرمز في قصيدة أخرى:

((أنكيدو خيالي لم يعُد

يكفي لأُكملَ رحلتي، لابُدَّ لي من

قُوَّةٍ ليكونَ حُلمي واقعياً)) (نفس المصدر،٨١)

العَنْقَاء أو الفينيق في الترجمات الحرفية الحديثة أو القفنوس أو القفنس بالفارسية كما ورد في كتاب منطق الطير، هي طائر خيالي ورد ذكرها في قصص مغامرات السندباد وقصص ألف ليلة وليلة، وكذلك في الأساطير العربية القديمة. يمتاز هذا الطائر بالجمال والقوة، وفي معظم القصص أنه عندما يموت يحترق ويصبح رمادا ويخرج من الرماد طائر عنقاء جديد. وقد استعمل الشعراء سواءاً كانوا من القدماء أو المعاصرين، هذا الطائر ورمزيته في أعمالهم الأدبية. على سبيل المثال نري هذا الطائر في ديوان محمود درويش بصورة رمزية:

((سأصيرُ يوماً طائراً، و أسُلُّ من عَدَمي

وُجُودي كلَّما احتَرَقَ الجَناحَان

اقتربتُ منَ الحقيقةِ، و انبَعَثتُ من الرَّمَادِ)) (درويش،٢٠٠١: ١٣)

و هناك أيضاً يتجلى إستدعاء التراث الأسطوري تهمتن في القصيدة التي يبدأ اسمه تهمتن و هو أحد ألقاب رستم الذي يعدّ من الأساطير الإيران و هو رمز للقدرة، و بطل الأبطال الذي ينتهي حضوره في أي معركة بنصر حاسم لبلاده. يجسد الشاعر بالتراث

الأسطوري عالماً خفياً مفعماً بالدلالات النفسية والفكرية والإنسانية، بما تتضمنه من عطاء فني وتاريخي للوصول إلى تخليص اللغة الشعرية من غنائيتها الفجة بواسطة استحداث معادل موضوعي بين الذاتية والموضوعية والانطلاق بالتجربة الفردية إلى مستوى التجربة الإنسانية الكلية.الرمز الأسطوري نتاج معرفي جمعي له امتداد في الماضي والحاضر والمستقبل، و به يحضر الماضي في وعاء الحاضر ليمتد ويتكرر في المستقبل:

طلسم بسته ديوان روزگار شكست — تهمتني كه در قفل اين حصار شكست
بگو كه گيو زمانه دلاور تاريخ — صف سپاه مخالف به كارزار شكست

(مرداني،١٣٦٠: ١٩)

وفي الأدب الملحمي يمكننا اعتبار قصة سياوش في الشاهنامة للحكيم فردوسي، أقرب قصة إلى النص المذكور ونموذجا ناجحا للتراجيديا التي جمعت العناصر قاطبة.يعتبر سياوش أميرا عاقلا شجاعا حسن المنظر يتألم من مكر سودابة وجهل كاووس المستبد ولهذه الأسباب يلجأ إلى مملكة أفراسياب، ولكنه يصبح هناك محسودا لجرسيوز وهو أخ لملك الأتراك. ولعلّ نصرالله مرداني قد راعي ذلك إلى حد كبير في النموذج الثاني الذي استعارته تلك الدراسة من استخدامه للموروث الأسطوري في شعره، و هو استخدامه لشخصية سياوش.و نلاحظ من البداية أن تعمله لهذا الموروث قبل تناوله في القصيدة:

بگوي سر أنا الحقّ رفيق حلّاجم

كه دار حادثه در انتظار تكبير است

دگر به جنگل افسانه ها صفايي نيست

عقاب قلّه‌ي سر سبز قصّه ها پير است...

رداي حيله به تن كرده باز گرسيوز

سلاح كاري پيران پير تدبير است

به روي گونه‌ي سودابه اشك هاي فريب

به سوگ تلخ سياووش زهر تزوير است (مرداني،١٣٦٠: ٦٤)

كانت عبارة ((زهر تزوير)) يشير إلى أساطير الثقافة و الأدب الفارسي من رؤية الشاعر.

ب) الموروث التاريخي:

لا يمكن النظر إلى التاريخ على أنه مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بإنتهاء الحدث التاريخي، بل هي حركة فاعلة متجددة في الوعي الإنساني، إذا أنه ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، بل إدراك إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناك أذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي(ناصف،١٩٨٢،ص ٢٠٥) و يختار الشاعر من شخصيات التاريخ ما يعتقد أنها توافق طبيعة الأفكار و الهموم التي يحملها و يريد إيصالها للمتلقي. إن الشخصيات و الأحداث التاريخية لا تنتهي بإنتهاء وجودها الواقعي؛ حيث تبقي دلالتها قابلة للتجدد بصور و أشكال أخرى من خلال مواقف جديدة و أحداث جديدة، إضافة إلى أنها قابلة لتحمل تأويلات و تفسيرات جديدة(عشري زايد،١٩٧٨،ص١٥١). لقد أدرك الشعراء الفارسي والعرب منذ القدم و حتى اليوم، أهمية توظيف الحوادث و الشخصيات التاريخية على إعتبار أن التاريخ يدرس حياة الإنسان وارتباطها بالزمان و المكان، لهذا استلهم الشعراء المعاصرون أحداث التاريخ و شخصياته و جعلوا منها نسقاً بنائياً و نسيجاً و إبداعياً.يشكل استلهام التراث التاريخي عنصراً من عناصر التجربة الشعرية، يستنفر نصرالله مرداني من خلاله ويستشير روح المقاومة والنضال، و يوجه الوعيين الفردي و الجماعي إلى الظروف التاريخية المتشابهة بين الماضي والحاضر. فجنكيز أكثر الشخصيات تمثيلاً لمعني البطش والإستبداد. قمع الحق بالقوة، وإخماد كل صوت يحاول أن يرتفع في وجه الطغيان. فهو يفرض رأيه على الآخرين بقوة القهر وليس بقوة المنطق و الإقناع، بالإضافة إلى أنه كان حاكماً للإيران. استخدم نصرالله مرداني شخصية جنكيز في أكثر من قصيدة، ففي قصيدة ((صريخ التاريخ)) التالية يشير إلى نهبه:

دريده سينه خاك حماسه هاي يقين — ز سم مركب چنگيز و تيغ تاتاريست
صداي شيهه‌ي رخش دگر نمي آيد — كجاست رستم دستان كه زخم ها كاريست

(مرداني،١٣٦٠: ٣٥)

وفي موقف آخر يوظّفُ الشاعر في تصاويرِه شخصيةً تاريخيةً كـ((هولاكو)) قناعاً لدولة بهلوي وشدّة ظلمِه واستبدادِه. فقد هجمَ المغول على بغداد سنة ٦١٧ واحتلَّ هلاكو بغدادَ وبدأ مسلسلٌ جديد من العذابِ والمشقّة للشعبِ الإيراني. وكان لشدّة الدمار الذي تعرّضت له إيران آنذاك أثرٌ بالغٌ لتُوظَّفَ شخصيةُ هولاكو في الشعر الفارسي قناعاً للتوحشِ والدمارِ. فنرى نصرالله مرداني مثلاً يستدعيها من طيات التاريخ ليرسمَ شدّة القمع في حكومةِ إيران. يصوّرُ الشاعر هذا الظلم:

پيچيده در حجم زمان فرياد تاريخ	خون زمين مي جوشد از بيداد تاريخ
از برج هاي سرخ سرآيد هلاكو	همزاد چنگيز مغول جلاد تاريخ
در مسلخ بي دادگاه كاخ جمشيد	سر مي زند بر صخره‌ي خون باد تاريخ
در دادگاه پر غبار شوش ويران	فرياد از بيداد دارد تاريخ

(مرداني،١٣٦٠: ٦٣)

يستدعي محمود درويش في القصيدة التالية شخصية تراثية سفّاح ((أول خلفاء بني العباس، تولى حكم الدولة الإسلامية وهو في السادسة والعشرين من عمرِه، وهو الخليفة التاسع عشر من الخلفاء المُسلمين، ويلتقي مع النبي محمد بن عبد الله في جده عبد المطلب)). و هذه الباعة في شعر محمود درويش يجهر عن المسائل المختلفة جهراً بيناً ويستخدم من المفارقة التصويرية الحادّة في نصّه الشعرية يصبح شعره طاعناً لمحتلين الفلسطين. وفي قصيدة ((رسالة في المنفي)) فنجده يستخدم شخصية سفّاح ينضج أكبر من خلال التعبير بالموروث التاريخي:

((الليل يا أمّاه ذئبٌ جائعٌ سفّاحُ

يطاردُ الغريبَ أينما مضي

و يفتَحُ الآفاق كالأشباحِ

و غابةُ الصفصافِ لم تَزل تُعانقُ الرياحَ

ماذا جنينا يا أمّاه؟! حتى نموتَ مرّتين

فمرّةً نموتُ في الحياةِ

و مرّةً نموتُ عندَ الموت (درويش: ٣٨)

و يعبّر محمود درويش في هذه الأبيات عن الحاكم المستبد الشامي و رمزه شخصية سفّاح يبطش الناس و إستدعاءه من الماضي لأجل غرضين: الأوّل لأنّ سفّاح يكون في القمع و البطش شخصاً وحيداً في التاريخ حتى يضربه مثلاً و الشخصية سفّاح تقدر أن تصل إلى المخاطب الهدف الشاعر من إستبداد مسيطر في الفلسطين، والثاني محمود درويش و سفّاح أيضاً شخصية تراثي في أزمنة بعيدة يعيش في كلي الأرضين المختلفين فقادر هذه شخصية لإبراز معاني محمود درويش في أشعاره و لأنّ الشعب العربي يعرف السفّاح و أفعاله مع الناس في العصور الماضية و يستطيعون أن ينشؤون علاقة وشيجة مع هذا الشخصية التراثية التاريخية.

ج) الموروث الديني:

كان التراث الديني في كل العصور و لدي الأمم مصدراً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج و موضوعات و صور أدبية، و الأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي تشكل محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني. و إذا كان الكتاب المقدس هو المصدر الأساسي الذي إستمدّ منه الأدباء الأروبيون شخصياتهم و نماذجهم الدينية، فإنّ عدداً كبيراً منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية، و في مقدمتها القرآن الكريم، و إستمدّوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات و الشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة(عشري زايد،١٩٧٨،ص٧٥).يعدّ الموروث الديني من المصادر الأساسية التي عكف عليها شعراؤنا المعاصرون، و استمدوا منها شخصيات تراثية عبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة. تعدّدت المعطيات التي إستمدّها نصرالله مرداني من المصادر التراثية الدينية، فقد إستمدّ منها نصوصاً قرآنية؛ لدعم تجربته و تجسيدها بشكل تام، فمن الموروث القرآنية حضور شخصية مريم عليها السلام في قوله:

مـــادر اي مـــريم بـــزرگ زمـــان ... خـــرّم از تـــو بهـــار ايمـــان اســـت
قلـــب سرشـــار از عطوفـــت تـــو ... روشـــن از آفتـــاب قـــرآن اســـت
مـــادر، اي آفتـــاب هســـتي بخـــش ... زيـــر پايـــت بهشـــت جاويـــد اســـت

دامـــن پاكـــت اي فرشـــته مهـــر بـــاغ آيينـــه گـــون توحيـــد اســـت

(مرداني،١٣٦٠: ٢٢-٢٣)

يوظّف نصرالله مرداني في هذا النصّ الشعري التراث الديني و يصوّر لنا أطهر وأخلص نياته للإمام الحسين عليه السلام وهو رمزٌ للحرّية و العدالة التي قتل في سبيل أهدافه وهكذا يستخدم نصرالله مرداني النصوص الديني بين أشعاره لإنشاء علاقة وشيجة بين الماضي والحاضر حتى يؤدي إلى التفهيم المقصود لدي المخاطب:

حماسه هاي سواران كربلاي شهادت نوشته خامه‌ي تاريخ در جريده‌ي خونين
به قله هاي ظفر خطبه رسول زمانه بشارتيست در اين صبح نو دميده‌ي خونين
به گرگ خاك، شهيد عزيز ما مسپاريد كه انفجار دگر دارد اين سپيده‌ي خونين

(مرداني،١٣٦٠: ٣٠)

و من الشخصيات الدينية التي وظفها شاعرنا محمود درويش، شخصية المسيح عليه السلام. إن التراث الديني مصدر سخي للإلهام الشعري، و قد كان استخدام محمود درويش للتراث الديني موفقاً إلى حد كبير؛ حيث إنَّه أجاد استخدام هذا النوع من الموروث، و بخاصة استخدامه لشخصية المسيح. كما يقول درويش في القصيدة (نشيد):

((ألو/ أريدُ يَسوعَ

نَعم مَن أنتَ/ أنا أحكِي مِن إسرائيلَ

وَ في قَدَمي مَسامِير...وَإكليل

مِن الأشوَاكِ أحمِلُه/ فَأيِّ سبيلٍ

أختَارُ يَابنَ اللّهِ....أيّ سَبيلِ

أ أكفرُ بِالخِلاصِ الحُلوِ

أم أمشِي/ وَلو أمشِي وَأحتَضرُ؟

- أقولُ لَكُم: أماما أيُّهَا البَشرُ)) (درويش، ج١: ١٥٠)

عيسى عليه السلام الملقب بالمسيح وهو رمز المقاومة والفداء والتضحية وتمّ إستدعاء شخصيته من خلال لقبه مرّات عديدة. و كما نشاهد أنّ الشاعر يستدعي هذا التراث الديني في أنحاء قصائده و في كل مكان له لفظ خاص أمثال (المسيح، عيسي) و درويش يعبّر بهذه الرموز الموروثي مفاهيمه المتوخاة و الشاعر يتحدّث عن آلامه في الحياة بأنها تستمرّ في كل آونة من الزمان كأنّ هذه الحياة تسمر الصليب - و هو رمز للمقاومة و التضحية - لحظة بعد لحظة. و محمود درويش يريد أن يصل إلى علاقة سديدة مع الماضي و يوظف من الشخصيات التي يعيشون في العصور المنصرمة و هناك الصليب.

إن إدخال عناصر من التراث الشعبي في الشعر كثيراً ما يحدث بشكل تلقائي، و ليس من الضروري أن يكون دائماً تضميناً لقيمة بعينها يريد الشاعر أن يشير إليها و يطوّرها في ما يتعلّق بنقطة معينة. ولكنها تكشف دوماً عن حيوية و دينامية في التجربة و بوجه عام، يمكن أن يكون لها أثر في تطوير لغة الشعر نحو درجة أكبر من المعاصرة. (الجيوسي،٢٠٠٧،ص٧٩١). التراث الشعبي الذي مثّل في أعمال الشعراء المعاصرين يأتي تحت ثلاثة مصادر رئيسة هي: ألف ليلة و ليلة و السير الشعبية كسيرة عنترة و بني هلال وسيف بن ذي يزن و غيرها و كتاب كليلة و دمنة لإبن المقفع (عشري زايد،١٩٧٨،ص١٥٢).لقد استعار نصرالله مرداني من الموروث الشعبي أو الفولكلوري إحدى شخصيات ألف ليلة و ليلة؛ حيث استعار شخصية شهرزاد، ولكنه لم يستعرها إلا بالإشارة وذلك ديدنه في الكثير من التعامل مع التراث:

افسانه‌ي خاك كهن با رقص آتش	اينك تداعي مي شود در ياد خورشيد
با كوله بار نور مي آيد سحرگاه	از كوچه هاي صبحدم شهزاد خورشيد
در آسمان عشق بي شيرين مهتاب	كوهي سياهي مي كند فرهاد خورشيد...
در عمق ظلمت مي درد با نيزه‌ي نور	پهلوي ضحّاك زمان حداد خورشيد

(مرداني،١٣٦٠: ٥٩)

تمثل شهرزاد في رواية ألف ليلة وليلة الجديدة الراوية لحكايات من العصر الراهن، حيث نسيت بأنها كانت فيوم من الأيام راوية ماهرة. إنها تمارس الأعمال الحرة مثل الكثيرين من معاصريها بسبب تراجع قيمة العمل الثقافي (علومي، ٢٠١٤م: ١١) يعتقد فوستر

أن شهرزاد قد نجت من الموت لأنها عرفت كيفية استخدام سلاح الانتظار... قائلا: أنها نجت فقط لأنها عرفت كيف ظل الملك في موقف يسأل فيه نفسه باستمرار: ماذا سيحدث بعد ذلك؟ (فورست، ٢٠٠٥م: ٤١)، وقفت شهرزاد بقوة الفكر وسحر الكلام، وليس بقوة الخداع أمام قوة الملك وقمعه، ولكن يجب ألا ننسى أن تحقيق جهودها يعد نتيجة ثقافية، تولي قوة الكلمة وتأثيرها قيمة أكثر بكثير من قوة السيف. وفي الواقع، استعانت شهرزاد في الجو الثقافي بتأثير الكلمة، التي تحتوي على خلفية لهذا النمط الثقافي أيضاً. والأمر الآخر هو أنه وعلى الرغم من أن المفهوم المركزي يعتبر ألف ليلة وليلة حواراً بين الحياة والموت (بيضائي، ٢٠١٢م: ٦٦-٦٧) و كذلك نشاهد هذه الصورة بين أشعار نصرالله مرداني:

گسترده دام مرگ بر پهناي هستي

در سنگلاخ زندگي صياد تاريخ

بر گور سرد عشق در پاييز اندوه

بي شهرزاد قصه ها شهزاد تاريخ

از خون هابيل است رنگين دست قابيل

افسانه هاي اندوهگين در ياد تاريخ (مرداني،١٣٦٠: ٥٣)

نتائج البحث:

موضوع إستلهام الشخصيات التراثية في الأدب الفارسي و العربي هي أحد أكثر الأشكال رقياً من الناحية الفنية في التعامل مع التراث. و الشاعران نصرالله مرداني و محمود درويش شأنهما شأن الشعراء الفرس و العرب قد سعيا إلى تضمين شعرهما تلك الشخصيات؛ لأنّ إستدعاء تلك الشخصيات بالنسبة للشاعر ليس مجرد ذكر للشخصية أو الإخبار عنها فحسب؛ بل المعرفة الواعية بملامح تلك الشخصيات و أبعادها الدلالية؛ و من ثمّ المقابلة بين تلك الملامح و القضايا التي يعيشها الشاعر في واقعه، ثمّ التعبير عن هذا الواقع من خلال الشخصية المستدعاة، بطرائق تعبيرية مختلفة. تمكنت هذه الدراسة التوصل إلى النتائج التالية:

١- إنّ للتراث لدي محمود درويش و نصرالله مرداني أهمية خاصة في الكشف عن البنية الفنية لقصائده من خلال متابعة هذه الظاهرة.

٢- إنّ لغة نصرالله مرداني الشعرية حية نابضة بثقافة كل العصور، مما جعل قصائده مشحونة بفيض هائل من الدلالات التراثية.

٣- من الظواهر اللافتة في إستخدامات اللغة الشعرية لدي محمود درويش إحتواؤها الأدائي لمعطيات التاريخ و دلالات التراث، يقوم الشاعر بإستلهام الحدث والشخصيات التاريخية بغية توظيفها في بنية النصّ بما تحمله من دلالات و إشارات.

٤- و توظيف التراث الشعبي لدي نصرالله مرداني أكثر من محمود درويش استخدم الشخصيات الشعبية مثل شهرزاد بين قصائده و كذلك الشخصيات الديني مثل المسيح عليه السلام اشتركا بينهما.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إبن منظور (١٩٩٩م).((لسان العرب))، بيروت: دار صادر، ط٣.

٣- عشري زايد، على (١٩٧٨م).((استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر))، طرابلس: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع و الإعلان. ط١.

٤- عشري زايد، على (١٩٧٧م).((عن بناء القصيدة العربية الحديثة))، دار الفصحى للطباعة و النشر، ط١.

٥- درويش، محمود (١٩٨٤م). ديوان محمود درويش، الطبعة الحادية العشر، بيروت: دار العودة.

٦- إسماعيل، عزالدين (١٩٦٧م).((الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والإجتماعية))، القاهرة: دار الكتاب العربي.

٧- ناصف، مصطفى (١٩٨٢م). ((دراسة الأدب العربي))، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، لا ط.

٨- الجيوسي، سلمي الخضراء (٢٠٠٧م).((الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث))، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢.

٩- وتار، محمّد رياض (٢٠٠٢م).((توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة))، دمشق: منش.رات إتحاد الكتاب العرب، ط١.

١٠- علومي، محمدعلي. (٢٠١٤م). هزار و يك شب نو. طهران: منشورات قطرة.

١١- بيضايي، بهرام. (٢٠١٢م). هزار دستان كجاست؟. طهران: ققنوس.

١٢- فورستر، ادوارد مورگان. (٢٠٠٥م). جنبه هاي رمان. ترجمة ابراهيم يونسي. طهران: منشورات نگاه.

١٣- عباس، إحسان (١٩٧٨م).((إتجاهات الشعر العربي المعاصر))، الكويت: عالم المعرفة، ط١.

١٤- بلحاج، كامل (٢٠٠٤م).((أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة قراءة في المكونات و الأصول))، دمشق: إتحاد الكتّاب العرب، ط١.

١٥- فخري الأغا، رقية و زقوت، محّد شحادة (٢٠٠٩م).((تحليل كتاب اللغة العربية للصف الحادي عشر من منظور مأثوراتي))، غزة: الجامعة الإسلامية، شهادة لنيل درجة الماجستير.

١٦- خاقاني إصفهاني، محمّد (١٣٩٠ه.ش).((التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية))، سمنان: مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها بجامعة سمنان، العدد٥.